مدينة بِسكَرَة في عهد منصور بن الفضل بن مُزني

(٦٩٣-٧٢٥هـ/١٢٩٤-١٣٢٥م)

إعداد

أنوار أبو المكارم صافي إبراهيم

معيدة بكلية الآداب – جامعة أسوان

أولاً:-موقع مدينة بسكرة

اختلف المؤرخون حول التسمية الأصلية لمدينة بسكرة وكذلك الرحَّالة والجغرافيين العرب والأوروبيون، وذلك لاختلاف المصادر التى تتطرق الى هذه المسألة التاريخية:

فمنهم من يرى أن مدينة بسكرة مدينة بربرية قبل الميلاد بـــ١٣٠٠سنة ،حيث كان يسكنها جماعة من الأحباش واللبنانيين والأرمنيين الذى تكون منهم الشعب النوميدى'، وبعد حاكمها جرباص انتقل الحُكم من يده إلى القرطاجنيين وإلى ملكتهم ديدون[١]، ومنهم من يرى أن اسمها مشتق من كلمة فيسيرا أو فيسكيرا Vescera وهى تسمية رومانية تعنى المحطة أو المقر التجارى، وذلك لموقعها الاستراتيجي المميز الذى جعلها منطقة عبور والتقاء بين الشمال والجنوب، وكان من أهم تلك المحطات الأساسية محطة خط اللميس الذى بناه الرومان بعد احتلالهم لبلاد المغرب[٢] أوللماس، ويُطلق هذا الاسم على الحدود التى كانت عبارة عن خط دفاعى لحماية الأراضي المغربية التى يحتلها الرومان من هجمات القبائل البربرية[٣].

وفى القرن الثالث الميلادى انتشرت فى مدينة بسكرة العديد من الكنائس حيث أن المدينة كانت تحت وطأة حكم الرومان، فقد كان يحكمها القديس أوبطا الذى كان مهيمناً على الواحات ومملكة الزيبان، ومن ثم انتقل الحُكم بعد ذلك الى القديس فيليكس، حيث قام البابا بإبعاد القديس أوبطا عن الحُكم وقام بنفيه، واستمرت بسكرة تحت سيطرة رجال الدين المسيحي فترة من الزمن[٤]، وخلال

---

[١] أحمد خمار: تحفة الخليل فى نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ٢٠١٢م، ص٥.

[٢] فوزي مصمودى: بسكرة عروس الزيبان وبوابة الصحراء، بسكرة، الجزائر، مجلة الفيصل، العدد٣١٥، ٢٠٠٢م، ص٧.

[٣] مختار حسانى: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، "مدن الجنوب" ج٢،ط٢،دار الحكمة، الجزائر ، ٢٠١٢م، ص٥.

[٤] أحمد خمار: المرجع السابق، ص٥.

ازدهار الديانة المسيحية فى شمال إفريقيا كانت مركز أسقفية نوميدية، حيث ذكر لنا كازبل أن أسقفاً كاثوليكياً من هذه المدينة حضر مؤتمر قرطاج سنة (٤١١هـ/١٠٢٠م) ودُفن بمدينة روما بمقبرة القديس كاليست، وتجدر الإشارة ان اسم فسكورة الدال على مدينة بسكرة فى الكتابات اللاتينية يتطابق مع شكل اسم بسكرة، ومن الواضح أن المدينة القديمة كانت توجد على الضفة اليسرى لوادي بسكرة يسار الطريق المتجه نحو سيدى عقبة، وفى هذا المكان تمت الاكتشافات الدالة على تلك المدينة [١].

ويرى البعض الآخر أن أصل تسمية بسكرة بهذا الاسم مشتق من سكرة، وأُطلق عليها هذا الاسم نسبة لحلاوة تمورها التى اشتهرت بها المدينة، وكان من أشهر أنواع تمورها (دقلة نور)، بينما يرى البعض الآخر أن التسمية الحقيقية لها هى أدبيستنام Piscinameوهو اسم رومانى يعنى النبع المعدنى نسبة إلى حمام الصالحين [٢].

ومدينة بسكرة جغرافيًا تقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من الجزائر[٣]على خط طول ٤٢ درجة و٥ دقائق شرقى جرينيتش، وخط عرض ٢٧ درجة و٣٩ دقيقة شمالاً، وهى تقع فى منطقة زراعية خصبة يحدها من الشمال الغربى جبال أطلس، تلك الجبال المحادية لساحل البحر المتوسط[٤] وهى تقع على ارتفاع يُقَدَّر ما بين مائة ومائتي وعشرين متراً من على مستوى سطح البحر[٥]، حيث يسود مدينة بسكرة مناخاً شبه جاف، وتتميز بشتاء بارد وجاف، وأيضًا صيفها حار وجاف.

---

[١] مختار حسانى: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ص٦.

[٢] فوزي مصمودى: بسكرة عروس الزيبان، ص٧.

[٣] عبد القادر بو معزة : بسكرة في عيون الرحالة الغربيين ، ج١،ط١،دار على بن زيد للطباعة والنشر ، بسكرة ، الجزائر ، ٢٠١٦م، ص٢٤.

[٤] عبدالحكيم العفيفى: موسوعة ١٠٠مدينة إسلامية، مكتبة الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٠م، ص١١٢.

[٥] مختار حسانى، المرجع السابق، ص٥.

أما بالنسبة لتساقط الأمطار فهى ضعيفة على مدار السنة، عدا فصل الخريف، حيث تشهد المنطقة هطول أمطار غزيرة وبكميات وافرة[١]، وتعتبر بسكرة من أهم واحات الزيبان[٢]، حيث تقوم جبال الأطلس (الأوراس) ومرتفعات الزيبان فى الشمال حاجزاً طبيعيًا للمدينة، حيث تقوم تلك الجبال بفصلها عن التل، كما تمثل واحات ورقلة جنوبًا امتداداً لها حتى العرق الشرقى عند الحدود الليبية، كما تقسمها شطوط "ملغيغ" إلى قسمين: القسم الشمالى: ويشمل المرتفعات السهبية فى أقصى الشمال عند سفوح جبال الأطلس، بالإضافة إلى السهول الرملية، أما القسم الجنوبى للمدينة فتغطيه الكسبان الرملية[٣].

وعَرَّف لنا ابن خلدون مدينة بسكرة "بأنها قاعدة وطن الزاب، وهى واحة ضمن واحات الزيبان، وحده من لدن قصر الدوسن بالمغرب إلى قصور تنومة وبادس فى الشرق، يفصل بينه وبين البسيط الذى يسمونه الحضنة جبل جاتم من المغرب إلى المشرق، ذو ثنايا تُفضى إليه من تلك الحضنة، وهو أبل درن المتصل من أقصى المغرب إلى قبلة برقة.ويستوطن ذلك الجبل فى محاذاة الزاب من غربيه بقايا من قبيلة زناتة، ويتصل من شرقيه بجبل أوراس المطل على بسكرة المعترض فى ذلك البسيط من القبلة إلى الشمال وهو جبل مشهور[٤].

كانت هناك الكثير من التعريفات حول مدينة بسكرة، حيث عَرَّفَ الحموي بسكرة "بكسر الكاف، وباء: وبأنها بلدة بالمغرب من نواحى الزاب، بينها وبين

---

[١] بسكرة أسوار من حضارة: الجزائر، وزارة الثقافة، ص١٢.

[٢] إسماعيل العربى: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٢م،ص١٤٧.

[٣] عبدالحميد بورايوبن الطاهر: القصص الشعبى في مدينة بسكرة (دراسة ميدانية) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م، ص٩.

[٤] ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، اعتنى به ، أبو صهيب الكومى، دار الأفكار الدولية ، (د.ت). ص١٧٨٧.

قلعة بنى حماد مرحلتان، وحيث يوجد بها العديد من النخل والسجر والقصب الجيد[١]"، ومنهم من عَرَّفَها بفتح الباء والكاف وتُعرف ببسكرة النخيل[٢]، أما البكرى فقد عَرَّفَ بسكرة "بأنها كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة، وهى مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف التمور، وهى مدينة مسورة عليها خندق، وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات، وحواليها بساتين كثيرة، وهى غابة كبيرة مقدار ستة أميال فيها أجناس من التمور، وحول بسكرة أرباض خارجة عن الخندق، وشرب بسكرة من نهر كبير يجرى فى داخلها منحدر من جبل أوراس"[٣].

وقد كانت مدينة بسكرة غنية بالموارد المعدنية التى جعلتها سببًا من أسباب العمران والعيش فيها، وكذلك جعلتها محط أنظار المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب والأوروبيين، حيث كان يوجد بمدينة بسكرة جبل ملح يقطع من الصخر الجليل ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون فى أطعمتهم، وتعرف ببسكرة النخيل حيث قال فيها أحمد بن محمد المروذى:

ثم أتى ببسكرة النخيل قد اغتدى فى زيه الجميـــــــل[٤].

وذكر لنا ابن سباهى زاده أن بسكرة بكسر الباء الموحدة وقيل فتحها وسكون السين المهملة وكاف وراء مهملة وهاء، وهى مدينة من آخر الثانى قبالة بلاد الغرب الأوسط، ومن بسكرة كان يُجلب التمر الطيب الى تونس وبجاية[٥]، بينما

---

[١] ياقوت الحموى : معجم البلدان ،دار صادر ، بيروت، ص٤٢٢.

[٢] ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، مج١،ط١،دار الجبل ، بيروت، ١٤١٢هـــــ، ص٢٨١؛ ينظر أيضاً محمد عبد المنعم الحميرى: الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق: إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت، ١٩٧٤م، ص٢٨١.

[٣] البكرى :المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد ص٥٢؛ ينظر أيضاً: مؤلف مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار، ص١٧٣.

[٤] المصدر السابق، ص٥٢.

[٥] ابن سباهى زادة : أوضح المسالك فى معرفة البلدان والممالك، تحقيق: المهدى عيد الرواضية، دار الغرب الإسلامى، ٢٠٠٦م، ص١١١-١١٢.

عرفها لنا صاحب الاستبصار بأن بسكرة مدينة كبيرة وبها العديد من الحصون والقرى العامرة وهى قاعدتها[١].

فى حين أخبرنا الوزان "بأن بسكرة مدينة تأسست على أنقاض المدينة القديمة Viscera فى الوقت الذى كان الرومان يحكمون فيه بلاد البربر، وقد خُرِّبَت مدينة بسكرة وأُعيد بناؤها مرة أخرى عندما دخلت الجيوش الإسلامية، وقد توالى الحكام على تلك المدينة عدة مرات، فقد ظلت بسكرة فترة من الزمن تحت سلطة ملك تونس، ثم بعد ذلك أصبحت بسكرة قاعدة بلاد الزاب فى عهد الحفصيين[٢].

وقال عنها (ماركو يوداميريك وهيرتز) "بأنها بلد فريد غنى ذو إمكانيات واسعة بدون انقطاع[٣]. فى حين اعتبر ابن سعيد مدينة بسكرة قاعدة بلاد الزاب وهى بلاد نخل وزرع[٤].

ووصفها لنا الورثيلانى " بأنها مدينة كثيرة المياه بين خلال البيوت فكل باب عند ساقية من الماء، ونخلها عظيم وزرعها كثير، وهذه المدينة كانت فارهة عظيمة البنيان والجامع الأعظم يدل على ذلك، فإنه لا نظير له وصومعته ما أحسنها وما أعظمها"[٥].

---

[١] مؤلف مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار، ص١٧٣.

[٢]الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة من الفرنسية : محمد حجى، محمد الأخضر،ط٢،دار الغرب الاسلامى،،بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص٥٠٩.

[٣] عبدالحليم صيد: أبحاث فى تاريخ زيبان بسكرة، مطبعة سوف، ص٣٩

[٤]ابن سعيد المغربى :كتاب الجغرافيا، حققه: إسماعيل العربى، المكتب التجارى للطباعة والنشر التوزيع، لبنان. بيروت، ط١، ١٩٧٠م، ص١٢٦.

[٥] الورثيلاني :الرحلة الورثيلانية المسماة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيير بوناتنا، الجزائر،١٩٠٨، ص٨٦:٨٧، ناصرالدين سعيدوني: من التراث التاريخى والجغرافى للغرب الإسلامى "تراجم مؤرخين ورحالة جغرافين"، دار الغرب الاسلامى، بيروت، ١٩٩٨م، ص٣٨١.

كما عرفها المدنى فى كتابه قائلاً: "بأن بسكرة كانت قرية بربرية عتيقة، وعُرِفت أيام السلطان الرومانى باسم فيسكرا، وكانت أيام ازدهار الديانة المسيحية بالبلاد مركز أسقفية، احتلها العرب تحت قيادة عقبة بن نافع، واستشهد عقبة وأصحابه بالقرب منها، وبعدها دخلت بسكرة تحت الحكم الأغلبى، ثم دخلت فى سلطة بنى حماد، وأخيراً استولى عليها الهلاليون وجعلوها من أكبر مراكزهم"[١].

ويتضح لنا من ذلك مدى أهمية مدينة بسكرة ومكانتها فى إقليم الزاب، ويرجع ذلك إلى موقعها المميز، حيث أنها كانت محط أنظار الدول واتخاذها محطة تجارية هامة، بالإضافة إلى ذلك ثراء أراضيها، وكانت محط للتنافس القوى بين الدول الثلاث – الزيانيين والحفصيين والمريين – وسوف نوضح ذلك من خلال الدراسة.

ثانيًا:-قري مدينة بسكرة:

شملت مدينة بسكرة على العديد من المدن والقرى الهامة التى كان لها دور كبير فى تاريخ بسكرة على مر العصور، وكانت تمتاز تلك القري ببساطتها وكثرة النخيل فيها، حيث يعتبر عاملاً اقتصادياً هامًا للبلاد، وكان لكل قرية من هذه القري مسجد خاص بها وإمام يشرف عليها[٢]، ونذكر من تلك المدن والقري جمونة وطولقة ومليلة وملشون وبنطيوس وحياس وسوف نذكر كل تلك المدن والقرى بشئ من التفصيل:

١- مدينة طولقة:

مدينة بالمغرب من ناحية الزاب الكبير من صقع الحديد، حيث يُنسب إليها عبدالله بن كعب بن ربيعة[٣] ، وتعتبر مدينة طولقة من أقدم المدن البسكرية، حيث

---

[١]أحمد توفيق المدنى: الجزائر "تاريخ الجزائر الى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وسكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية،١٣٥٠، ص١٩٨.

[٢] أحمد خمار: تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، ص١٢.

[٣] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٤، ص٥٠.

تعود جذور تلك المدينة إلى عهد القرطاجيين، حيث كانت تلك المدينة بربرية، وكانت تربطها علاقات وُدٍّ بينها وبين القرطاجيين، ويرجع سبب تسميتها بهذا الاسم إلى النوميدين، الذين أنشئوها على مجرى مائى ساخن يسمى "تيولا شلة"، وعَرَفَت تلك المدينة الديانة المسيحية، والدليل على ذلك الكنيسة التى لا تزال بقايا آثارها إلى يومنا هذا.

وافتتحها القائد عقبة بن نافع، وبنى فيها مسجداً صلى فيه ثلاث جمعات، كما تحولت الكنيسة الرومانية بعد الفتح الاسلامى إلى مسجد يقع فى قلب المدينة، يأخذ المسجد شكلاً مستطيلاً طول ضلعه ٣٦متراً أما عرضه فيبلغ ١٦متراً، وبه أربع واجهات: الواجهة الرئيسة بها بابان ونافذتان، الواجهة الثانية بها باب يطل على الشارع الرئيس، أما الواجهة الثالثة جانبية بها المئذنة، والواجهة الرابعة فهى عبارة عن جدار على ساحة كبيرة مخصصة للصلاة وأخرى للوضوء ومكتبة وساحة صغيرة، وتعتبر مئذنة المسجد العتيق من المآذن ذات القاعدة المربعة، يبلغ ارتفاعها ١٤متراً، وكانت مدينة طولقة تضم ثلاث مدن عربية هى: (ليشانة، طولقة، البرج) وكانت كل مدينة من تلك المدن بها أسوار من الطوب وخنادق توجد حولها الأنهار، بالإضافة إلى البساتين المليئة بالكروم وغابات الزيتون وواحات النخيل المنتشرة بكثرة فى تلك المناطق، حيث تعتبر تمورها من أجود التمور[١].

٢- مدينة مليلة:

بالفتح ثم الكسر، وباء تحتها نقطتان، ولام أخرى، وهى مدينة بالمغرب بالقرب من سبتة على ساحل البحر[٢].

٣- قرية ملشون:

من قري بسكرة من ناحية إفريقية القصوي، يُنسب إليها أبو عبدالملك الملشوني وابنه عالمان يحمل عنهما العلم[٣]، وقد ذكر لنا أبوعبدالله الملشوني "أن

---

[١] بسكرة أسوار من حضارة: وزارة الثقافة الجزائر، ص٤٦.

[٢] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٥، ص١٩٧.

[٣] المصدر السابق، مج٥، ص١٩٧.

في طريق بسكرة يوجد جبلٌ فيه كهف يوجد به رجل قتيل لم يعرف أحد من أى عهد هو، ولم تغيره الدهور ولا تقادم الأزمان كأنما جراحه تقطر دمًا كأنما قد قُتِلَ منذ يومين، وقد نقله أهل تلك النواحي ودفنوه بأقبيتهم، ثم لم يلبثوا أن وجدوه فى الكهف على حاله، ويقال إنه من الحواريين، كما ذكر محمد بن يوسف أن هذا القتيل فى شق جبل بشرقي عين، وهذه العين عظيمة بين مرماجنة وبين مدينة سبيبة[١].

٤- قرية حياس:

هي القرية التى نزل بها العرب فى القرن الخامس الهجري[٢].

ثالثاً:-أسرة بنى مزني وقيام إمارتهم بالزاب (٦٧٨-٨٠٤هـ /١٢٨٠-١٤٠٢م):

يرجع أصل بنى مزنى إلى إفريقية وأنهم من العرب، حيث أنهم وصلوا إلى إفريقية أخلافًا لبنى هلال بن عامر فى المائة الخامسة؛ حيث قيل إن نسبهم يرجع إلى أنهم من مازن فزارة، ويقال أيضًا أنهم من لطيف[٣] ثم من الأثبج[٤]، ثم

---

[١] محمد عبدالمنعم الحميري: الروض المعطار فى خبر الأقطار، ص١١٤؛ مؤلف مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار، ص١٧٣؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص١٩٧.

[٢] أحمد خمار: تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، ص١٢.

[٣]لطيف: هم بطون كثيرة، ومنهم اليتامى وهم أولاد كسلان بن خليفة بن لطيف بن ذوى مطرف وذوى أبى الخليل جلال بن معافى، ومنهم اللقامنة، أولاد لقمان بن لطيف منهم: أولاد جرير بن علوان بن محمد بن لقمان، ونزار من معن من محيا بن جرى بن علوان، وجرير يزعمون أنهم من محيا بن جرى، ومزنة من ديفل بن محيا، وإليه يرجع نسب بنى مزنى الولاة بالزاب لهذا العهد، ابن خلدون: المصدر السابق، ص٥٤.

[٤]الأثبج: هم من الهلاليين وكانوا أكثر عدداً وأوفر بطوناً، وكان منهم الضحاك وعياض ومقدم والعاصم بطنان: توبة، وعمز، ويرجعون نسب الأثبج أنه بن ربيعة بن نهيك بن هلال، وقد كانت لهم القوة وكانوا أحياء غزيرة، وهم من جملة الهلاليين الداخلين لإفريقية، وكانت مواطنهم جبل الأوراس من شرقية، وعندما استقروا بإفريقية غلب صنهاجة على الضواحى. ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٨.

من بنى جزى بن علوان بن محمد بن علوان بن خليفة بن لطيف[١]، بينما ذكر لنا ابن خلدون أن بنى مزنى يرجع نسبهم إلى أبيهم مزنى بن دنفل بن محيا بن جزى، ويقول: "هكذا تلقيته من بعض أنسابه الهلاليين"، فإن أهل الزاب كلهم من أفاريق الأثبج، عجزوا عن الظعن ونزلوا قراه على ما كان بها قبلهم من زناتة وطوالع الفتح، وبعد بنى مزنى عن هذا النسب فزارة لما صار إليه أهل الأثبج بالزاب من المغرم والوضائع، فيستنكفون لذلك وينتسبون إلى غرائب الأنساب[٢]، وكان مقر هؤلاء الأثابجة بلاد الجريد والزاب وهؤلاء قادته بسكرة.

إن أول نزول لبنى مزنى فى قرية من قري بسكرة تعرف بقرية حياس[٣] عام (٦٧٨هـ / ١٢٨٠م) وكان بنو مزنى ينتمون إلى أسرة عريقة[٤] حيث كان

---

[١]المقريزي : درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة: مج١، حققه وعلق عليه: محمود الجليلى، دار الغرب الإسلامى، بيروت،(١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م)، ص٣١٦.

[٢]ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، ص١٧٨٧.

[٣]المصدر السابق، ص١٧٨٧.

[٤]كان الفتح الإسلامى لبلاد المغرب بدأ بقيادة عمرو بن العاص وعقبة بن نافع، اتجهوا إلى بلاد المغرب لفتحه بأعداد قليلة واستقروا في المدن والعواصم، وكانت في البداية لمعرفة الأوضاع في بلاد المغرب ثم بعد ذلك انطلق الجيوش الاسلامية لفتح البلاد ونشر الاسلام، وبدأت الهجرة الفعلية عام(٤٤٣هـ / ١٠٥٢م)، ويرجع سبب تلك الهجرة إلى انتقاض المعز بن باديس الذى كان نائباً للفاطميين بإفريقية عن دعوة الفاطميين وحولها إلى العباسيين حيث حلف المعز لينقضن طاعتهم وليحولن طاعتهم إلى بنى العباس ويمحون اسم بنى عبيد من منابره، وقطع أسماءهم من الطراز والرايات، وقام بمبايعة القائم أبا جعفر بن القادر من خلفاء بنى عباس، وخاطبه ودعا له على منابره سنة(٤٣٧هـ / ١٠٤٦م) وبعث بالبيعة إلى بغداد، مما أغضب ذلك المستنصر فأشار عليه وزيره أبومحمد الحسن بن على اليازورى باصطناع العرب أحياء هلال من جشم، والأثبج، وزغبة ورياح وربيعة وعدى فقاموا بإرسالهم إلى إفريقية بعد كان في مصر وقال لهم" لقد أعطيتكم المغرب، وملك المعز بن بلكين الصنهاجى العبد الأنيق فلا تفتقرون" وساروا إلى برقة واستوطنوها وكتبوا لإخوانهم في شرقى النيل بإفريقية يرغبونهم في البلاد، فتقارعوا على البلاد فكان لسليم الشرق ولهلال الغرب. ابن خلدون: المصدر =نفسه ، ص٩٣٩،١٥٦٠،١٥٦١؛ جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامى في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبدالصمد هيكل، مراجعة: مصطفى أبو ضيف أحمد،

نزولهم فى القرن السابع الهجرى والثالث عشر الميلادى مع الدواودة[١]، فلما كثروا وامتلكوا الأموال تحولوا إلى مدينة بسكرة[٢]. وأخذوا مع أهل بسكرة بحظٍ وافرمن تملك المياه والعقار، ولكنهم بعد مضى من الوقت انتقل إلى البلد واستمتعوا بالمنزل والظلال، وقاسموا أهلها فى الحلة والمر[٣].

وفى بداية الأمر كانت إمارة الزاب إلى هذا العهد لبنى رمان[٤] البسكريين وهى من أغنى إمارات الجزائر وأضخمها لهذا العهد، فقد كانت حدودها تمتد من المسيلة إلى نقاوس شمالاً، وإلى واركلة، ووادى ريغ جنوباً، ومن الدوسن غربًا إلى بادس شرقًا، حيث تبعد مدينة بادس عن بسكرة بنحو ثلاثين ومائة كيلومتر، و استمر بنى رمان على ولايتهم لبسكرة.

فقد كان النزاع بينهم وبين بنى مزنى عليها، فنزلوا حولها إلى عصر السلطان أبى إسحاق إبراهيم الأول فانتزعها عن بنى رمان وجعلها للفضل بن أحمد بن أبى مزنى حيث قام بنصرته وتأييد دعوته[٥] أيام انتفاضه على أخيه

=منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١م، ص٢٢٢:٢٢٤؛ أشرف سمير توفيق: بنو مزنى في بسكرة(٦٧٨-٨٠٤هـ/١٢٧٩-١٤٠٢م)حوليات المؤرخ المصري، جامعة القاهرة،كلية الآداب ، فبراير،٢٠١٦، ص٣٣.

[١]Marc cote: La ville et le desert Le Bas- Sahara Algerien, Paris, Page 221.

[٢] المقريزي: درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة، مج١، ص٣١٦.

[٣] ابن خلدون: العبر، ص١٧٨٧.

[٤]بنى رمان: هى عائلة قديمة جداً حكمت مدينة بسكرة فى القرن الخامس الهجرى قبل عائلة بنى مزني وقد ظهر من هذه العائلة علماء وفقهاء منهم الشيخ عبدالواحد الرمّاني، وقيل أن أصل هذه العائلة من بلدة بوسعادة وتفر بعضهم إلى تاجموت، أحمد خمار: تحفة الخليل فى نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، ص٢٦.

[٥]عبدالرحمن الجيلالى: تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص٢١،٢٢.

المستنصر، فشكر له السلطان موقفه هذا وولاه إمارة الزاب اعترافاً بمساعدته له والوقوف بجانبه عام(٦٧٨هـ /١٢٨٠م)[١].

بعدما فر أبو إسحاق إبراهيم من أخيه المستنصر وصل إلى تلمسان[٢] والتجأ إلى الأندلس، وظل أبو إسحاق هناك ينتظر الفرصة للعودة وظل هناك حتى توفى أخوه المستنصر، وبعد عودته أول ما طالب به هو الحُكم حيث أراد انتزاع العرش من ابن أخيه يحيي بن الواثق[٣]، فاضطر الأخير إلى التنازل عن العرش لعمه وذلك بمحضر كبار الموظفين[٤]. وبعدها قام أبو إسحاق بالعودة إلى تونس فنزل إلى تلمسان واستقبله صاحبها يغمراسن بن زيان[٥] صاحب تلمسان،

---

[١]عبد الرحمن الجيلالى: تاريخ الجزائر العام،ج٢ ص٢١،٢٢.

[٢]تلمسان: هى مدينة مسورة فى سفح جبل شجرة الجوز وهى قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها طواحين وهو نهر سطيف، وهى دار مملكة زناتة وموسطة قبائل البربر، ونزلها محمد بن سليمان بن عبدالله بن حسن بن على بن أبى طالب ومن ولده عيسى أبو العيش بن إدريس بن محمد =بن سليمان، ولم تزل تلمسان دار للعلماء والمحدثين وحملة الرأى وفى الجنوب من تلمسان قلعة أبى الجاهل وهى قلعة منيعة كثيرة الثمار والأنهار، ويتصل بها جبل تأرنى وهو ما يليه جبال معمورة إلى مدينة تيزيل، وهى تقع فى أول الصحراء ومنها السفر إلى مدينة سجلماسة. البكرى: المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص٧٦-٧٧.

[٣] المطوى: السلطنة الحفصية، ص٣٢٤.

[٤] برنشفيك: تاريخ إفريقية فى العهد الحفصى، ج١، ص١٠٦.

[٥]يغمراسن بن زيان: هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد عبدالوادى، أبو يحيي: وهو أول من استقل بنلمسان من بنى عبدالواد، بويع يوم مقتل أخيه زيدان بن زيان سنة(٦٣٣هـ /١٢٣٥م) وتزين بزى الإمارة، كما قام بمحو آثار الدولة الموحدية ولم يبقى منها سوى الدعاء للخليفة بمراكش، وكان الموحدون قد ضعف أمرهم وثار عليهم صاحب إفريقية الأمير أبو زكريا الحفصى واتجه بجيشه إلى تلسمان وفرض عليها الحصار وكان ذلك فى أواخر سنة(٦٣٩هـ/١٢٤٢م)، حيث خرج منها يغمراسن وفر إلى الصحراء، وافتتحت جيوش الموحدين تلمسان من كل حدب وعاثوا فيها فأرسل إليه أبى زكريا الحفصى يدعوه ولكنه لم يستجب لدعوته، وانتهى الأمر فى نهاية الأمر بالصلح وفق عهود وشروط معينة، وكان ذلك فى ربيع

بالإضافة إلى ذلك كان أهل بجاية ناقمين على والى الأشغال عندهم فقاموا بقتله، وقاموا باستدعاء أبى إسحاق يحثونه على ولاية العرش فدخل بجاية سنة(٦٧٨هـ /١٢٨٠م) فاجتمع عليه أهلها وبايعوه بالمُلك، فغزا قسنطينة ولكنها امتنعت عليه، حيث بعث الواثق جيوشه لمقاتلة عمه، وما كادت الجيوش تصل إلى الزاب الجزائرى حتى تقدمت بنفسها إلى أبى إسحاق فبايعته بالمُلك وكتبت وثيقة بذلك بعثت بها إلى الواثق بتونس، فتنازل مكرهاً عن العرش وخلع نفسه، وبذلك كانت الجزائر أول من بايعت السلطان أبى إسحاق وأول من اعترفت بحقه على العرش[١].

=الأول عام(٦٤٠هـ/ ١٢٤٣م) أقبل الخليفة السعيد سنة (٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)، حيث كان يريد الحرب مع الخليفة الحفصى بإفريقية، فلما اقترب بجيوشه من تلمسان أفرج له يغمراسن عنها ولجأ إلى قلعة جنوب مدينة وجدة رغبة فى السلم فقصده الخليفة، واقتتلا الطرفان حتى انتهى الأمر بمقتل السعيد، ومزق الموحدون شر ممزق، وظفر يغمراسن بما كان مع السعيد من ذخائر الدولة الموحدية "كالمصحف العثمانى" و"العقد المتيم" بالإضافة إلى ما كان مع جيش السعيد من متاع ومال، وكان ذلك بداية استقلال بنى عبدالواد فى تلمسان وأغادير، وفى سنة(٦٥٥هـ / ١٢٥٧م) هاجم بنو مرين أصحاب المغرب بنى عبدالواد ودار معركة بين الطرفين فى أبى سليط وانتهت بهزيمة يغمراسن، فما كان من يغمراسن، إلا أن وطدت علاقته ببنى حفص أصحاب تونس وأكد هذة الصلة المصاهرة التى تمت حيث قام بتزويج ابنه عثمان من ابنة السلطان أبى إسحاق إبراهيم بن عبدالواحد الحفصى وخرج للقائهما بمليانة، وعند عودته أدركته المنية عند وادى الشلف، وحمل إلى تلسمان ودفن بها، حيث حَكَمَ ٤٤ سنة، وكان شجاعاً فاضلاً حكيماً متواضعاً، يكثر من مجالسة العلماء والصالحين. يحيي بن خلدون: (أبى زكريا يحيي بن أبى بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن خلدون ت٧٨٠هـ/١٣٧٩م): بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد، مج١، مطبعة بيير بونطانا الشرقية، الجزائر، ١٩٠٣م، ص١٠٩، الزركشى: =تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص٢٩؛ عبدالرحمن الجيلالى: تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص١٢٧؛ عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص٣٥٥.

[١] عبدالرحمن الجيلالى: المرجع السابق، ص١٩.

وبعد أن تولى أبو إسحاق مقاليد الحُكم بتونس، عقد للفضل على الزاب ولأخيه عبدالواحد بن علي على بلاد الجريد، فقدم بسكرة متوليًا على الزاب حتى فتك به بنو رمان سنة(٦٨٣هـ/١٢٨٥م) واستبدوا بعده بأمر بسكرة والزاب[١].

رابعًا: بسكرة فى عهد منصور بن الفضل بن مزنى (٦٩٣-٧٢٥هـ / ١٢٩٤-١٣٢٥م):

منصور بن الفضل بن على بن أحمد بن الحسن بن على بن مزني، هو ثانى أمراء الزاب من بنى مزنى[٢]، كان منصور بن مزنى فى تونس لقضاء بعد شئون والده، فلما هلك أبوه واستبد بنو رمان بالحُكم فى بسكرة والزاب، قاموا ببث السعايات ضد ابن مزنى عند السلطان أبى حفص (٦٨٣-٦٩٤هـ / ١٢٨٤-١٢٩٥م) فقام السلطان بالقبض عليه واعتقله، حيث ظل منصور فى معقله ما يقارب سبع سنوات[٣]، وأثناء تواجد منصور فى الاعتقال بتونس، استطاع الأمير أبو زكريا يحيي ابن الأمير أبى إسحاق إبراهيم الاستيلاء على بجاية[٤]

---

[١] المقريزى: درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة، ص٣١٦.

[٢]عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص٢٩٥.

[٣]ابن خلدون: العبر، ص٤١٧٨٧. عادل نويهض: المرجع السابق، ص٢٩٥.

[٤] بجاية: بالكسر وتخفيف الجيم،، وألف، وياء، وهاء: وهى مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، كان أول من أختطها هو الناصر بن علناس بن حماد بن بن زيرى بن مناد بن بلكين وذلك فى سنة(٤٥٧هـ /١٠٦٥م) ، وكانت قديماً ميناء ثم اختطت مدينة، وأطلق عليها اسم الناصرية ثم الى الناصر بن علناس الذى قام ببنائها، وكان سبب بناء تلك المدينة كما أخبرنا الحموى "أن تميم ابن المعز بن باديس صاحب إفريقية أرسل إلى ابن عمه الناصر بن علناس محمد بن البعبع رسولا لإصلاح ما كان بينهما من خلاف، فمر ابن البعبع ببجاية ووجد فيها بيوتاً للبربر قليلة، فقرر الغدر بتميم بن باديس، وعندما وصل إلى الناصر قرر بينه وبين الناصر الغدر بن تميم والهرب وقرر بناء مدينة بجاية، وأنزل عسكره فيها، فلما علم تميم بذلك أرصد له العيون فقبض عليه وقم بقتله، وأخبرنا الإدريسى أن مدينة بجاية كان أهلها مياسير تجار، وبها من الصناعات ما ليس بكثير من البلدان الأخرى، وكان أهلها يجلسون تجار المغرب الأقصى، وبها مزارع الحنطة والشعير والتين وكثير من الفواكه، وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والسفن والمراكب وراجع ذلك لكثرة الأخشاب بها، وقيل بأنها ثغر بالمغرب الأوسط على بحر الروم، عند مصب نهر مضاف إليها وهو ثغر "صلدا" القديم Saldae،

وقسنطينة[١] وبونة[٢] وانضمت إليه الأعراب وأطاعته بجاية والجزائر وبسكرة، وبعدها استطاع الأمير الحفصى تأسيس مملكة حفصية جعل عاصمتها بجاية، وبذلك انقسمت الدولة الحفصية إلى قسمين أولهما شرقى حيث ضم الممتلكات الأفريقية بالمغرب الأدنى "تونس"، وثانيهما قسم غربى ضم ممتلكات الدولة فى المغرب الأوسط " بجاية"[٣].

=(ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج١، ص٣٣٩؛ الإدريسى : المغرب وبلاد السودان ومصر والأندلس، من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مطبعة ليدن، ١٨٩٣م، ص٩٠ ؛أمين واصف: الفهرست " معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية " مراجعة: أحمد زكى، مؤسسة هنداوى، ١٩١٦م، ص١٧.

[١] قسنطينة: هى آخر بلاد إفريقية، ما يلى البحر وما يلى الصحراء، وما بعدها فهو من المغرب غير إفريقية، فأول ذلك بليدة صغيرة قبلى بجاية إلى البر، تسمى ميلة، بينها وبين بجاية ثلاث مراحل، ومن بجاية إلى قلعة بنى حماد أربع مراحل، أما الحموى فذكرها بأنها ومدينة وقلعة يقال لها قسنطينة الهواء، وهى قلعة كبيرة جداً وحصينة لا يصلها الطير إلا بعد عناء ومشقة، وهى من حدود إفريقية مما يلى المغرب لها مزارع كثيرة، وتزاور عنها قلعة بنى حماد، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص٣٤٩، المراكشى: المعجب فى تلخيص المغرب، ص٢٨٩.

[٢] بونة: مدينة بإفريقية بين مرسى الخرز وجزيرة بنى مزغناى، وهى مدينة حصينة مقتدرة كثيرة الرخص والفواكه والبساتين القرينة، وأكثر فاكهتها من باديتها وبها معدن حديد، وهى على البحر، ينسب إليها جماعة، منهم: أبو عبدالملك مروان بن محمد الأسدى البونى، فقيه مالكى من أعيان أصحاب أبى الحسن القابسى، وله كتاب فى شرح الموطأ، وأصله من الأندلس ولكنه انتقل إلى إفريقية فأقام ببونة ونسب إليها، ومات قبل سنة ٤٤٠هـ، ويطل على بونة جبل زغوغ، وقيل بأنها مدينة على حدود المغرب الأوسط، تسمى الآن "عنابة" وهى مدينة Hippos Regnis القديمة، أمين واصف: الفهرست، ص٢٦؛ ياقوت الحموى: المصدر السابق، مج١، ص٥١٢.

[٣] ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص ١٧٨٨؛ ابن الباجى المسعودى: الخلاصة النقية فى أمراء إفريقية، ص ١٧٧؛ طاهر راغب حسين: التطور السياسى للمغرب من الفتح الإسلامى إلى آخر القرن العاشر الهجرى، ط٣، دار النصر للتوزيع والنشر، جامعة القاهرة،(١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م)، ص٢٦٥.

وخلال كل تلك الاضطرابات التى شهدتها الدولة الحفصية استطاع منصور بن مزنى الفرار من محبسه بتونس، ولحق بكرفة من أحياء هلال بن عامر، وهم العرب الذين تولوا أمر جبل الأوراس، ونزل على الشبة من أفاريقهم وهم من أولاد يب بن محمد بن كليب من قبيلة كرفة[١]، ولحق ببجاية بعد مهلك الحاجب القائم بالأمر أبى الحسين بن سيد الناس، وولى السلطان أبى زكريا أبو القاسم بن أبى يحيي مكانه وذلك سنة(٦٩١هـ/١٢٩٢م)، فتقرب منه منصور بن مزنى ولازم خدمته، وأغدق عليه بالتحف وتعهد له بتحويل الدعوة إلى الزاب لسلطانه، وتسريب الأموال والجباية إليه[٢].

ويتضح لنا من ذلك أن منصور بن مزنى اتبع سياسة والده فى التقرب من السلاطين، فكما فعل والده مع إبى إسحاق إبراهيم وتقرب له حتى عقد له على الزاب كذلك منصور بنى مزنى تقرب من أبى زكريا الحفصى حتى أولاه إمارة الزاب، وخاصة أن الزاب فى ذلك الوقت كانت تحت إمرة صاحب تونس.

عقد الأمير أبى زكريا الحفصى لمنصور بن مزنى على الزاب التى كان بنى رومان مسيطرين عليها بعد مقتل الفضل بن مزنى، وأمده بعسكر فنازل بسكرة واستولى عليها سنة(٦٩٣هـ/١٢٩٤م)[٣]، ووفد أهلها بنى رومان إلى السلطان أبى زكريا ببجاية لمبايعته فقبل السلطان بيعتهم، وكذلك أرسل إلى منصور بن مزنى بالعفو عنهم، وقبول دعوتهم فلبى منصور طلب أمير بجاية ومهادنتهم إلى حين[٤]، فكما كان من منصور بن مزنى إلا مهادنتهم لحين تسنح الفرصة للانتقام منهم لقتلهم أبيه.

---

[١] ابن خلدون: العبر، ص١٧٣١؛ أشرف سمير توفيق: بنو مزنى فى بسكرة، ص١٠.

[٢] ابن خلدون: العبر، ص١٧٨٨؛ عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر منذ صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص٢٩٥.

[٣] عادل نويهض: المرجع السابق، ص٢٩٥.

[٤] ابن خلدون: المصدر السابق ، ص ١٧٨٨.

بدأ منصور بنى مزنى بترسيخ أقدام إمارته بإقليم الزاب، فقام ببناء قصرٍ لأسرته وتحصن العسكر بسوره، وأحاط نفسه بعدد من الجنود، وعرف كيف يصبح الحاكم الفعلى لبسكرة وكل ما جاورها من القري، وكان أول ما قام به بعد توليه الحكم هو التخلص من بنى رومان قتلة أبيه، حيث نقض عهده معهم وقام بإخلائهم عن المدينة قسرًا، واسترد جباية السلطان[١] واستطاع الحد من نفوذ القبائل العربية ، فمكنه السلطان أبى زكريا الحفصى أمير بجاية من بسط سلطته على كامل جنوب منطقة قسنطينة[٢] وامتدت حكومته إلى جبل أوراس وقرى ريغة وبلاد واركلا (ورقلة) وقري الحضنة التى شملت على: مقرة[٣] ونقاوس والمسيلة[٤].

فقد استطاع منصور التقرب إلى السلطان والعمل على توفير أموال الدولة[٥] ونمَا الخراج وقام بمصانعة رجال السلطان فألقى عليه بالمحبة، وجذبوه بضيعةٍ إلى أقصى مراتب الاصطناع [٦]، وبذلك إستطاع منصور بن مزنى

---

[١] ابن خلدون: العبر، ص١٧٨٨؛ المطوى: السلطنة الحفصية، ص١٤٠.

[٢] برنشفيك: تاريخ إفريقية فى العهد الحفصى، ج١، ص١٤٠.

[٣] مقرة: مدينة بالمغرب في بر البربر قريبة من قلعة بنى حماد بينها وبين طبنة ثمانية فراسخ، وكان بها مسلحة للسلطان ضابطة للطريق، وينس إليها عبدالله بن محمد بن الحسن المقرى ياقوت الحموى: معجم البلدان: مج٥، ص١٧٥.

[٤] المسيلة: مدينة بالمغرب تسمى المحمدية، وهى مدينة أزلية فيها بعض آثار للأول تدل على أنها كانت مدينة كبيرة، وهى عامرة آهلة كثيرة الخصب ورخيصة السعر، على نظر واسع وبها الكثير من القري العامرة اختطها أبو القاسم محمد ابن المهدى في سنة(٣١٥هـ/٩٢٧م) وأبو القاسم كان يلقب بالقائم بعد المهدى من المنتسبين إلى العلويين الذين كانوا بمصر، وينسب إليها أبو العباس أحمد بن محمد بن حرب المقرى بمصر، حيث قرأ القرآن وبعد ذلك ارتحل إلى بنطيوس فلقى بها أبا بكر محمد بن الخزرجى وقرأ عليه أبو حميد عبدالعزيز ابن على بن محمد بن سلمة السيحانى المقرى ياقوت الحموى: المصدر السابق، مج٥، ص١٣٠؛ مؤلف مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار، ص١٦٦.

[٥] عبدالرحمن الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ، ج٢، ص٢٣؛ عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص٢٩٥.

[٦] ابن خلدون: المصدر السابق، ص ١٧٨٨.

ترسيخ أقدام إمارته وبسط سلطته على إقليم الزاب، فقد اتسعت إمارة بنى مزنى فى عصره، وامتدت من واركلى جنوبًا إلى المسيلة ونقاوس شرقًا، ومن الدوسن إلى بادس شرقًا، وفى السنة السابعة للهجرة توفى السلطان أبو زكريا وتولى الحكم بعده ابنه الأمير أبو البقاء خالد سنة (٧٠٩-٧١١هـ /١٣٠٨-١٣١١م) واستطاع أن يستقل ببجاية وتونس، وتمكّن من فرض الوحدة بين المملكتين الحفصيتين بحد السيف، بعدما فشل فى تحقيقها بالطرق السلمية، وتلقب باللقب الخليفى "الناصر لدين الله" واستقر بعد ذلك فى تونس[١].

بعدما تولى أبو البقاء خالد حكم الدولة الحفصية كان أول ما قام به أن أدخل تغييرًا على أجهزة الدولة، فقد قام بتعيين كبار الموظفين الذين أتوا معه من المملكة الغربية، وكان منصور ابن مزنى فى عصر أبى البقاء قد بلغ منزلة كبيرة، حيث عهد له أبى البقاء خالد بولاية الأشغال (المالية)[٢] باعتباره الأمير

---

[١] بعد وفاة أبى عصيدة، رفض شيوخ الموحدين بتونس الإمتثال للإتفاقية التى تنص على جعل الأمير أبى البقاء خالد حاكماً على السلطة الحفصية، وقاموا بمبايعة أحد أبناء عمومة السلطان الراحل، أبوبكر بن أبى زيد عبدالرحمن بن أبى يحيي أبى بكر عام (٧٠٩هـ/١٣٠٨م)، فأسرع أبو البقاء إلى المطالبة بحقوقه، فارتحل الى تونس على رأس جيشه بحملة عسكرية وحظى بمؤازرة أعراب الكعوب من أولاد أبو الليل، وخرج إليه أبوبكر ولكن استطاع أبو البقاء خالد هزيمته فلاذ بالفرار ولكن أستطاع أبو البقاء القبض عليه وقتله، ولقب أبى بكر الذى لم يستمر في الحكم سوى سبعة عشر يوماً بلقب الشهيد، وتولى أمر الدولة الحفصية أبى البقاء خالد عام (٧٠٩هـ/ ١٣٠٨م)، روبار برنشفيك: تاريخ إفريقية فى العهد الحفصى، ج١، ص ١٥٧؛ مبارك بن محمد الميلى: تاريخ الجزائر فى القديم والحديث، ج٢، ص٣٦٦.

[٢] ولاية الأشغال: عرفت أيضاً بولاية المالية، حيث عرف وزير المالية منذ مدة طويلة فى الدولة الحفصية باللقب الذى كان يحمله فى الدولة الموحدية وهو " صاحب الأشغال "، وفى وقت مبكر، أى منذ عهد أبى زكرياء، اضطر شيخ الموحدين الذين كانوا يشرفون على مالية إفريقية فى أول الأمر إلى تحويل تلك المالية على مضض إلى بعض الموظفين الآخرين، وقد تداول على الاضطلاع بمهمة "ناظر فى الأشغال" عدد من الموظفين المتدربين أمثال الجوهرى أو الليانى، وأسندت المالية إلى أحد زعماء الأقاليم الذى كانت السلطة المركزية تخشاهم أكثر مما تثق فيهم ومنهم منصور ابن مزنى صاحب الزاب. ينظر: روبار برنشفيك:

الأقوى نفوذًا فى الزاب[١] وقويت علاقة منصور بحاجب أبى البقاء القائم بأمر بجاية (أبو عبدالرحمن بن يعقوب بن غمر) وعول عليه فى سائر الضواحى من ممالك السلطان على نظره، وعقد له على بلاد التل من أرض سدويكش[٢] وعياض فاستضافها إلى عمله، وكان منصور ابن مزنى يتردد إلى بجاية لزيارة السلطان والمطالعة على أعماله[٣].

ويبدو أن تلك المكانة المميزة التى وصلها منصور بن مزنى عند السطان أبى البقاء صاحب بجاية أوغرت صدر القبائل العربية ناحية بن مزنى، أدت الى فكرة الانتقام والتخلص منه فانتهزوا فرصة عودته من سدويكش بعد زيارته لسلطان بجاية، وقام بالقبض عليه بعض أمراء الدواودة منهم على بن أحمد بن عمر بن محمد بن مسعود، وسليمان بن على بن سباع بن يحيي بن مسعود على،

=تاريخ إفريقية فى العهد الحفصى، ج٢، ص٥٦-٥٧؛ وحسب ابن خلدون كان صاحب الأشغال له "ينظر فيها النظر المطلق فى الدخل والخرج، ويحاسب ويستخلص الأموال ويعاقب على التفريط " ويذكر ابن خلدون أيضاً " كان يستقل بالنظر فى استخراج الأموال وجمعها وضبطها وتعقب نظر الولاة والعمال فيها، ثم تنفيذها على قدرها وفى مواقيتها " ينظر: ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص ٦٤٦،٦٤١.

[١] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص ١٥٨.

[٢] سدويكش: عرفه لنا ابن خلدون " هذا الحى لهذا العهد وما قبله من العصور يعرفون بسدويكش وديارهم فى مواطن كتامة ما بين قسنطينة وبجاية فى البسائط منها، ولهم بطون كثيرة مثل سيلين وطرسون وطرغيان ومولیت وبنى فتنة وبنى لمائى وبنى زغلان والبؤرة وبنى مزوان ووراكسن وسكرال وبنى عباد، وفيهم من لماية ومكلانة وريغة والرئاسة على جميعهم فى بطن منهم يعرفون أولاد سواق لهم جمع وقوة وعدة . وكان جميع هذه البطون وعيالهم غارمة فيمتطون الخيل ويسكنون الخيام ويظعنون على الإبل والبقر ولهم مع الدول فى ذلك الوطن استقامة. وهذا شأن القبائل والأعراب من العرب لهذا العهد. ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص١٦٢٨؛ مبارك بن محمد الميلى: تاريخ الجزائر فى القديم والحديث، ج٢، ص٣٦٦.

[٣] ابن خلدون: االمصدر السابق، ص١٧٨٨.

فقاموا باعتقاله وهموا بقتله لولا أن افتدى نفسه بخمسة قناطير من الذهب، ومن حينها لم يتحرك منصور بن مزنى من مكانه إلا للضرورة[١].

أدت كل تلك الأحداث إلى اتساع نفوذ منصور بن مزنى وزيادة ثرائه، وإلى التفكير فى الاستقلال بإمارته فى الزاب عن الحفصيين وهنا لابد لنا من أن نعرف، كيف استطاع منصور بن مزنى الاستقلال بإمارته بالزاب عن الحفصيين؟

للإجابة على هذا السؤال لابد لنا أن نعرف فى البداية أن منصور بن مزنى كانت تراوده فكرة الاستقلال بإمارته فى الزاب عن الحفصيين وما ساعده فى التفكير على ذلك بُعد مناطق حكمه عن السلطة المركزية، واتساع نفوذه، والثورات التى كانت ضد السلطة المركزية، والنزاع الداخلى فى البيت الحفصى، وكل تلك الأسباب كانت عاملاً للاستقلال بالحكم، ومن الأدلة على ذلك:

١- بيعة منصور بن مزنى ليحيي بن خالد:

كان يحيي بن خالد بن أبى إسحاق إبراهيم من حاشية السلطان أبى البقاء خالد، فقد حدثت بينه وبين الدولة بعض المنازعات التى أدت به إلى الفرار وذلك خوفًا من السلطان، ففر سنة(٧٠٩هـ /١٣٠٩م) إلى أقصى الجنوب حيث نفوذ بن مزنى المتولى على مناطق الزاب وما حولها، فجاء به منصور بن مزنى إلى قسنطينة[٢] ولم تذكر لنا المصادر الأسباب التى أدت إلى مغادرة يحيي بن خالد حاشية السلطان أبى البقاء خالد إلا ما ذكره لنا ابن خلدون" النزاع الذى كان بينه وبين الدولة أدى إلى فراره ولحق بمنصور بن مزنى الذى كان هو الآخر فى خلاف مع بن غمر حاجب أبى البقاء خالد، فانتهز بن مزنى فرصة لجوء الأمير الحفصى له واستجاب دعوته بعد أن وعده بأن يكون حاجباً له، وهكذا اجتمع غضب الأمير الحفصى مع غضب

---

[١] ابن خلدون: العبر، ص ١٧٨٩.

[٢] المصدر السابق، ص١٧٨٨؛ مبارك بن محمد الميلى: المرجع السابق، ج٢، ص٣٦٧؛ المطوى: السلطنة الحفصية، ٣١٢.

والى مناطق الزاب فتعاونا على القيام بأول حركة انتفاضة تعتبر ضد الوحدة الحفصية.

ولكن تلك الانتفاضة قضى عليها فى المهد، حيث اكتشف ابن مزنى أن هذا الأمير الحفصى يُكن له الغدر بعد انتصاره على أبى البقاء خالد، وأنه أفضى إلى بعض الأعراب المناصرين له بذلك حتى عَلِم ابن مزنى بذلك، ولم يكن منه إلا أن نَفض يديه من هذا الأمير الحفصى الثائر وعاد إلى طاعة أبى البقاء خالد وكذلك مصالحة الحاجب ابن غمر[١]. فقد أدرك بن مزنى أن يحيي بن خالد لم يكن ليتقرب منه إلى لمصلحته، حيث أراد ابن مزنى أن ينتهج سياسة أبيه لتأييد ابن إسحاق فى الخروج ضد أخيه المستنصر فيعود إليه بالفائدة، ولكن خابت آماله عندما علم ما ينويه له يحيي بن خالد من الغدر بعد انتصاره على أبى البقاء خالد، لذلك أراد أن يعيد تحسين علاقاته مع السلطان وكذلك الحاجب بن غمر.

أما يحيي بن خالد اتجه إلى صاحب تلمسان أبى حمو موسى الأول، الذى أمده بجيش للزحف به للمرة الثانية على قسنطينة ولكن دون جدوى[٢] وهذا جعل يحيي بن خالد ييأس من مواصلة العصيان، فعاد إلى مناصرة منصور بن مزنى، واعتزل الحياة العمومية، واستقر فى بسكرة عند بنى مزنى، وطلب من منصور أن يعيش تحت كنفه وحمايته، فأووه تحت رعايتهم وعاملوه معاملة كريمة، فأسنى منصور له الجراية، ورتَّب عليه الحرس، وكان السلطان اللحيانى الذى خلف أبى البقاء خالد فى حكم الحفصيين كان يرسل الى منصور بن مزنى الهدايا والإقطاعات التى ورثها بنُوه من بعده، وذلك حتى يجعل يحيي بن خالد تحت كنفه خوفاً من يقوم بالعصيان مرةً

---

[١] المطوى: السلطنة الحفصية، ص٣١٢؛ الميلى: تاريخ الجزائر فى القديم والحديث، ج٢، ص٣٦٧.

[٢] المرجع السابق، ص٣١٢؛ روبار برنشفيك: تاريخ إفريقية فى العهد الحفصى، ج١، ص١٥٨.

أخرى ضد السلطة الحفصية، وكذلك ظل يحيي بن خالد فى بسكرة حتى توفى سنة(٧٢١هـ/١٣٢١م)[١].

٢- مساندة منصور بن مزنى للزيانيين ضد السلطة الحفصية:

خلال السنوات الأولى التى حكم فيها أبو بكر السلطنة الحفصية كانت تلك الفترة مليئة بالاضطرابات الداخلية والغزوات الأجنبية، وصلت تلك الاضطرابات إلى المناطق الجنوبية للبلاد، سواء فى الجزائر الحالية أو المناطق التونسية، على درجة كبيرة من الاستقلال، تحت سلطة الحكومات المحلية، ففى مدينة بسكرة عاصمة إقليم الزاب خضع بنو مزنى الذين سيطروا على الواحات الصحراوية حتى ورقلة، لسلطة أبى بكر الأول وقدموا إليه مساعدتهم[٢]، وقد كانت تلك الإضطرابات بداية من تولى أبو بكر الذى أطلق عليه الشهيد عام(٧٠٩هـ /١٣٠٩م)، ثم تولى الحكم من بعده أبى بكر الثانى عام(٧١٨هـ/١٣١٨م)، فقد توالى على حكم السلطنة الحفصية العديد من الحكام فى فترة وجيزة، حيث تولى فى تلك الفترة ما يقارب خمسة سلاطين، إضافة إلى حدوث التوتر فى بجاية[٣].

كل هذه الأمور جعلت السلطان الزيانى أبا تاشفين (٧١٨-٧٣٧هـ /١٣١٨-١٣٣٧م) يوجه جيشاً عام (٧٢٠هـ /١٣٢٠م) وذلك لإستكشاف مناطق الحفصيين، وبث الرعب فى نفوس حكامها، ويبدو أن الزيانيين – بنى عبد الواد – كانت لهم مطامع فى الإستيلاء على تونس و خير دليل على ذلك مساعدتهم ليحيي بن خالد فى ثورته ضد السلطنة الحفصية وإمدادهم له بجيش، وكذلك أيضًا مساندتهم للثورات التى كانت هدفها إثارة القلق فى نفوس الدولة الحفصية ومنها ثورة سعادة الرحمانى التى سنقوم بذكرها بشكل مباشر وموسع، فقاموا بإرسال جيش بشكل مباشر لتهديد أملاك الحفصيين خاصة فى المناطق الجنوبية الغربية

---

[١] ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص ١٧٣٨؛ الميلى: المرجع السابق، ص٣٦٧.

[٢] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص١٨٠،١٨١.

[٣] ابن خلدون:المصدر السابق، ص١٧٤٠،١٧٤١.

حيث اتجه إلى بجاية وقسنطينة، وأمر أبو تاشفين قائده ببناء مدينة على وادى بجاية عرفت تلك المدينة باسم تامزيزديت [١].

فسارع منصور بن مزنى إلى بنى عبد الواد واعترف بتبعيته لهم وذلك حقداً على الوزراء الحفصيين[٢]، وقد سار على منواله ابنه عبدالواحد الذى خلفه سنة (٧٢٥هـ /١٣٢٥م)، فهجم عليه جيش حفصى، مما اضطره للاستسلام لسلطة المركزية فى تونس، وبل وقام بتزويج إحدى بناته بالسلطان[٣]، كما قام منصور بن مزنى بإرسال ابنه يوسف يعرض عليهم مساعدات أبيه وطاعته، وأنه على استعداد أن يسير معه وملك السلطان خلال ذلك تونس وسائر بلاد إفريقية، وهلك ابن غمر سنة(٧١٩هـ/١٣١٩م)، ولم يزل منصور ممتنعًا سائر أيامه على الدولة[٤].

أدت مساعدات منصور بن مزنى للزيانيين إلى تهديدهم للأملاك الحفصية تكرارًا، حيث اتجهوا إلى قسنطينة ونزلوها، وعادوا بعدها إلى تلمسان مرة أخرى وظل منصور بنى مزنى متمردًا على الحفصيين، فما كان من الدولة إلا أن قامت بإرسال الجنود والعساكر من بجاية لردعه وقتاله[٥].

٣- ثورة سعادة الرحمانى:

---

[١] يحيي بن خلدون: بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبدالواد، ص١٣٥؛ التنسى : تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان فى بيان شرف بنى زيان، تحقيق: محمود آغا بو عياد، الجزائر، ١٩٧٥م،ص١٤٣؛ أشرف سمير: بنو مزنى فى بسكرة، ص ١٣.

[٢] روبار برنشفيك: تاريخ إفريقية، ج١، ص١٨١.

[٣] المرجع السابق: ج١،ص١٨١.

[٤] ابن خلدون: العبر ، ص١٧٨٩.

[٥] الميلي: تاريخ الجزائر فى القديم والحديث، ج٢، ص٣٦٧؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص ٢٩٥؛ أشرف سمير: المرجع السابق، ص١٣.

قام سعادة الرحماني[١] بثورة أعتبرها ثورة دينية، حيث دعا فيها إلى تغيير المنكر وإقامة السنة، أخذ سعادة المبادئ الأولى للتعليم على يد فقهاء تازة[٢] لهذا العهد، ثم عاد محتسبًا فوجد أتباعًا كثيرين من مشائخ بنى هلال

---

[١] سعادة الرحماني: هو رجل مسلم من إحدى شعوب رياح، ثم رحمان الرياحية، كانت أمه تدعى حضيبة وكانت فى أعلى مقامات العبادة والورع، ونشأ هو منتحلاً العبادة والزهد،، وارتحل إلى المغرب ولقى شيخ الصالحين والفقهاء لهذا العهد بنواحي تازة أبا إسحاق التسولى، وأخذ عنه ولزمه، وتفقه عليه، ورجع إلى رياح بفقه صحيح وورع وافر، ونزل طولقة من بلاد الزاب، وأخذ بنفسه فى تغيير المنكر على أقاربه وعشيرته ومن عرفه أو صحبه، فاشتهر بذلك وكثرت غاشيته لذلك من قومه وغيرهم، ولزم صحابته منهم أعلام عاهدوه على التزام طريقته كان من أشهرهم: أبو يحيي بن أحمد بن عمر شيخ بنى محمد بن مسعود من الدواودة، وعطية بن سليمان بن سباع شيخ أولاد سباع بن يحيي منهم، وعيسى بن يحيي بن إدريس شيخ أولاد إدريس من أولاد عساكر منهم، وحسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة بن يحيي بن دريد بن مسعود منهم، وهجرس بن على من أولاد يزيد بن زغبة، ورجالات من العطاف من زغبة فى كثير من أتباعهم والمستضعفين من قومهم، فكثر بذلك أتباعه واستظهر بهم فى إقامة السنة وتغيير المنكر على من جاء به: ينظر ابن خلدون: العبر، ص١٥٧٣-١٥٧٤؛عبدالرحمن الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ، ج٢، ص٢٢؛ محمد حسن : المدينة والبادية ، ج٢، ص٧٤٤.

[٢] تازة: مدينة كبيرة لا يقل شرفها عن قوتها، وتتميز بموقعها الاستراتيجى الهام فهى حلقة الوصل بين المغربين الأوسط والأقصى، وتعتبر حداً بينهما وتعيش في رخاء، فوق أرض خصيبة، وقد بناها قدامى الأفارقة على مسافة خمسة أميال من جبال الأطلس، وتقع على مسافة ثمانين ميلاً من فاس، وهذه المدينة بها جامع أكبر من جامع فاس وفيها ثلاثة مدارس، وبضع حمامات وفنادق، وأسواقها منتظمة مثل أسواق فاس، وسكانها ناس بواسل وكرماء ويوجد بينهم كثير من المثقفين ورجال البر وكثير من الأغنياء، ويمتد حول المدينة وادٍ ترويه جداول بديعة رائعة ويشتمل على كثير من الأشجار التى تنتج كميات كثيرة من ألذ الثمار، وحبوبها تدم على الخزن، وكان من عادة ملوك فاس المحدثين أن يمنحوا هذه المدينة لثانى أبنائهم وكان الملوك المرينيون يقيمون فيها كل فصل صيف بسبب هوائها النقى أو ربما لحمايتها من عرب الصحراء الذين كلنوا يقصدونها كل سنة ليمتاروا بالأقوات وليجلبوا تمور سجلماسة التى يقاضونها بالحب ينظر: الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ص٣٥٧-٣٥٨ ؛ ابن الخطيب : كتاب معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق ودراسة: =محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،(١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص١٨٢؛ (تازا) نعيمة برعى

وعامتهم وأصبحوا يعرفون بالسنية [١] واتخذ من مدينة طولقة مقرًا له ولدعوته، متبعًا فى ذلك سياسة عبدالله بن ياسين فى إنشاء دولة المرابطين، وابن تومرت فى إنشاء دولة الموحدين، فكثر أتباعه وقوى بهم، وأطلق عليهم المرابطين أو السنية ، فلما استكملت هذه الجماعة قوتها واشتدت شوكتها أخذت فى شن الغارات على الهاربين وقطاع الطرق[٢].

ثم أرسل سعادة إلى منصور بن مزنى يطالبه بإعفاء الرعايا من المكوس غير الشرعية والظلامات، ولكن ابن مزنى رفض ذلك بل واعتبر سعادة ثائراً على الدولة، وقرر التخلص منه وقتله خوفًا من أن يستفحل أمره فحال دونه عشائر أصحابه ولكنهم قاموا بتأييد سعادة ودعوته مما أدى ذلك إلى انتشار صيت سعادة وانتصار الناس له فبايعوه على إقامة السنة والموت دون ذلك، فأرسل إلى السلطان أبى البقاء خالد والى بجاية يطالبه بالمدد والعسكر والعتاد فجاءته الجنود من كل صوب، كما اعتمد ابن مزنى فى حربه مع سعادة على كبار شيوخ الدواودة وعلى الجنود النظاميين الوافدين من بجاية، بالإضافة إلى ذلك أن أوعز إلى أهل طولقة بالقبض على سعادة، فما كان من سعادة إلا أنه خرج منها، وابتنى بضواحيها زاوية انتقل فيها هو وأصحابه واتخذها قاعدة ينطلق منها فى حروبه ضد ابن مزنى وأتباعه، ثم جمع سعادة أتباعه من المرابطين –السنية – وقاموا بحصار بسكرة سنة (٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) وقطعوا نخيلها، ولكن امتنعت عنه هو وأصحابه

=رمضان عبد الغالى: مدينة تازا تاريخها السياسى والحضارى (١٧٢-٨٦٩هـ/٧٨٨-١٤٦٥م) رسالة ماجستير "غير منشورة"، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنيا، سنة ٢٠١٣م، ص١٨-٢١.

[١] محمد حسن: المدينة والبادية، ج٢، ص ٧٧٤.

[٢] ابن خلدون: العبر، ص١٥٧٤؛ عبد الرحمن الجيلالى: تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص٢٣.

فرحلوا عنها، وعادوا لحصارها مرة أخرى فى السنة التالية(٧٠٤هـ / ١٣٠٤م)، ولكن دون جدوى[١].

ولكن يجب علينا التساؤل هنا: لماذا لم يزحف أمير الزاب لقتال سعادة وأصحابه على الرغم من استعداداته لقتاله وانهاء تلك الحركة وتفضيله البقاء فى بسكرة؟

ربما يظن القارئ فى بادئ الأمر أن ذلك تقصير من أمير الزاب وعدم مقدرته على مواجهة الصعاب والمتمردين عليه داخل الدولة وعدم حنكته العسكرية ولكن مع سير الأحداث السياسية والنظر إليها ومع متابعتنا للأحداث وقراءة المشهد السياسى يتضح لنا أن أمير الزاب كان هدفه من ذلك هو انتظار تفكك الحلف القائم بين سعادة وأنصاره لاسيما الدواوودة أو الذهاب إلى ماشيتهم، ثم الانقضاض بعدها على سعادة وأتباعه والتخلص منهم وهو ما أورده لنا ابن خلدون والخمار ففى (سنة ٧٠٥هـ / ١٣٠٥م) قام سعادة الرحمانى ومن معه من أصحابه الدواودة بغزو "مليلى" إحدى مدن بسكرة، وحاصرها أيامًا، قيل لمدة ثلاثة أيام[٢]، فاستغاث أهلها بمنصور بن مزنى، فأرسل إليهم جيشاً يتألف من العسكر السلطاني، وبعض القبائل العربية المتحالفة معه، ووقعت المعركة بين سعادة وأتباع وجيش الأمير، وانتهت تلك المعركة بمقتل سعادة الرحماني، وحملت رأسه إلى ابن مزنى[٣] وعلقت رأسه فوق منارة المسجد الكبير ببسكرة[٤].

عندما علم أصحاب سعادة بمقتله نزلوا إلى الزاب برئاسة أبو يحيي بن أحمد بن عمر شيخ أولاد محرز، وعطية بن سليمان شيخ أولاد سباع،

---

[١] ابن خلدون: العبر ، ص١٥٧٤؛ روبار برنشفيك: تاريخ إفريقية فى العهد الحفصى، ج٢ ، ٣٥٠؛ عبد الرحمن الجيلالى: المرجع السابق، ج٢، ص٢٣.

[٢] احمد خمار: تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، ص٧.

[٣] ابن خلدون:المصدر السابق، ص١٥٧٤.

[٤] أحمد خمار: المرجع السابق، ص٧.

وعيسى بن يحيي شيخ أولاد عساكر، ومحمد بن حسن شيخ أولاد عطية، وكانت رئاستهم ترجع إلى يحيي بن أحمد، فنزلوا بسكرة وحاصروها وقاموا بقطع نخيلها، وقبضوا على عمال ابن مزنى وأحرقوهم بالنار، فما كان من ابن مزنى إلا أن جمع حلفاءه من بطون العرب أمثال على بن أحمد شيخ أولاد محمد، وسليمان بن على شيخ أولاد سباع، وجهز جيشاً وخرج على رأسه ابنه على بن مزنى[١] سنة(٧١٣هـ/١٣١٣م) وزحفوا فى الصحراء ودارت رحى الحرب بين الطرفين انتهت بمقتل على بن مزنى، فقد وجدوه مقتولاً بحومة الوغى وأخذ بعض رؤساء قومه أسرى ومنهم من أحرق بالنار، منهم على بن أحمد الذى أخذ أسيرًا ولكن عيسى بن أحمد أطلق سراحه رعيًا لأخيه أبى يحيي بن أحمد، وعظم أمر السنية بعد هذا الانتصار[٢].

بعد وفاة أبى يحيي اختار "السنية" زعيمًا روحيًا لهم هو عبدالله بن محمد بن الأزرق من فقهاء مقرة، الذى سوف نتحدث عنه تفصيلاً أثناء الدراسة، حيث تمكّن ابن الأزرق بمساعدة بعض القبائل العربية –لاسيما أولاد سباع من الدواودة – من جعل الفرقة عاملاً سياسيًا هامًا فى الجنوب، وتحصل على جراية من قبل السلطان أبى تاشفين الزيانى، فأرسل إلى السنية بالجوائز والأموال والهدايا، بالإضافة إلى جائزة معلومة كان يرسلها لهم مع ابن الأزرق كل عام، واستمر هذا الأمر حتى استطاع على بن أحمد شيخ

---

[١]على بن مزنى (٧١٣هـ/ ١٣١٣م): على ابن المنصور بن الفضل بن على بن مزنى: أمير وقائد عسكرى، من آل مزنى أمراء الزاب وابن ثانى أمرائها، قاد الجيش فى عهد أبيه لقتال جماعة من أنصار "سعادة" العابد الزاهد، فهزم جيشه وقتل . عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص٢٩٤. برنشفيك: تاريخ إفريقية فى العهد الحفصى، ج٢، ص٣٥٠.

[٢] ابن خلدون: العبر، ص١٥٧٤؛ عبدالرحمن الجيلالى: تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص٢٣؛ احمد حمار: المرجع السابق، ص٨؛ مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر فى القديم والحديث، ج٢، ص٣٦٣.

أولاد محمد حيث ضعف أمرهم، فما كان من الأزرق إلا أن التجأ ابن الأزرق إلى يوسف بن مزنى ببسكرة الذى استدعاه ليتولى قضاء بسكرة، وربما كان هدف ابن مزنى هو تفريق أمر السنية وتشتيتهم[١].

انسحب حزب النسية واندثر عقده، ولم يبق منه إلا ظهور بعض الزعماء الذين واصلوا نشاطهم وتداخلت لديهم الأغراض الدينية مع الدنيوية.

على أية حال انتقل إقليم الزاب بعد ذلك من طاعة الحفصيين (أبى يحيي أبى بكر) إلى طاعة وتبعية بنى عبد الواد (أبى تاشفين)، واستمر إقليم الزاب على هذا الوضع فى ظل التبعية الزيانية العبد وادية حتى وفاة عامل الزاب منصور بن مزنى سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)[٢]

---

[١] ابن خلدون : العبر ، ص١٥٧٤؛ برنشفيك: تاريخ إفريقية فى العهد الحفصى، ج٢، ص٣٥١؛ عبدالرحمن الجيلالى: تاريخ الجزائر العام، ص٣٢؛ مبارك بن محمد الميلى: تاريخ الجزائر فى القديم والحديث، ج٢، ص٣٦٣.

[٢] ابن خلدون : المصدر السابق ،ص ١٧٨٩؛المقريزي: درر العقود، مج١، ص٣١٧ (ذكر المقريزي وفاة منصور بن مزنى سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) برنشفيك: تاريخ إفريقية، ج١، ص ١٨١.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا :-المصادر العربية

الإدريسى(أبو عبدالله محمد بن محمد المعروف بالشريف الإدريسى ت٥٥٨هـ/١١٦٣م):

-المغرب فى ذكر السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق فى إختراق الآفاق، مطبعة ليدن، ١٨٩٣.

الباجى المسعودى(محمد الباجى بن أبى بكر المسعودى البكرى ت ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م):

- الخلاصة النقية فى أمراء إفريقية ، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠١٢م.

البكرى (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز بن أيوب ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

- المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الاسلامى ، القاهرة (د.ت).

التنسى(محمد بن عبد الله التنسى ت ٨٩٩هـ/١٤٩٤م):

- تاريخ بنى زيان ، مقتطف من نظم الدر والعقبان فى بيان شرف بنى زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود آغا بو عياد، الجزائر، ١٩٧٥م.

الحميرى(أبو عبد الله محمد بن عبد الله عبد المنعم الصنهاجى ت٨٩٦هـ/١٤٩٢م):

-الروض المعطار فى خبر الأقطار ، معجم جغرافى مع فهارس شاملة ، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان ، بيروت، ١٩٧٤م.

--ابن خلدون(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن جابر بن إبراهيم بن عبدالرحمن ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م):

-العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، اعتنى به ، أبو صهيب الكومى، دار الأفكار الدولية ، (د.ت).

-مقدمة ابن خلدون، حقق نصوصه، وخرج أحاديثه ، وعلق عليه: عبدالله محمد درويش،٢٠٠٤الجزء الثانى.

ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن على بن أحمد السليمانى ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٤م):

- معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار ، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، طبعة ٢٠٠٠م.

الزركشى(أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم ت٧٩٣هـ/١٥٢٥م):

- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ،الطبعة الثانية،المكتبة العتيقة، تونس ، ١٩٦٦م.

ابن سعيد المغربى(أبى الحسن على ابن موسى بن سعيد المغربى ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

-كتاب الجغرافيا، حققه إسماعيل العربى، الطبعة الأولى، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠م.

ابن سباهى زادة(محمد بن على البروسوى الشهير بابن سباهى زادة ت ٩٩٧هـ/١٥٨٩م):

- أوضح المسالك فى معرفة البلدان والممالك ، تحقيق المهدى عبد الرواضية ، دار الغرب الاسلامى ، ٢٠٠٦م.

ابن عبد الحق البغدادى (صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى الحلبى ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م):

-مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ،الطبعة الأولى، دار الجيل ، بيروت، ١٤١٢هـ.

عبد الواحد المراكشى (عبد الواحد بن على المراكشى ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م):

- المعجب فى تلخيص المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجانى للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.

المقريزى(تقى الدين أحمد بن على المقريزى ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م):

-درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة، المجلد الأول، حققه وعلق عليه محمود الجليلى ، دار الغرب الاسلامى، بيروت، ٢٠٠٢م.

-إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : جمال الدين الشيال، الجزء الثانى، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، ١٩٩٦م.

مؤلف مجهول كاتب مراكشى من كتاب القرن السادس الهجرى/الثانى عشر الميلادى:

-الاستبصار فى عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

الورثيلانى(سيدى الحسين بن محمد الورثيلانى ت١١٩٣هـ/١٧٧٩م):

- الرحلة الورثيلانية المسماة نزهة الأنظار فى فضل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيير بونتانا ، الجزائر، ١٩٠٨م.

الوزان(الحسن بن محمد الوزان الفاسى المعروف بليون الأفريقى عاش فى القرن ٨هـ/١٤م):

-وصف أفريقيا ، ترجمه من الفرنسية محمد حجى، محمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الاسلامى، بيروت ، لبنان، ١٩٨٣م.

ياقوت الحموى(شهاب الدين أبى عبد الله بن أبى عبد الله الرومى البغدادى ت ٦٢٦هـ/١٢٩٢م):

- معجم البلدان ، المجلدات الأول والرابع والخامس، دار صادر بيروت.

يحيي بن خلدون(أبى زكريا يحيي ابن أبى بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون ت٧٨٠هـ/١٣٧٩م):

-بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد ، المجلد الأول، مطبعة بيير بونتانا الشرقية ، الجزائر، ١٩٠٣م.

ثانيًا:-المراجع العربية

أحمد خمار:

-تحفة الخليل فى نبذة من تاريخ بسكرة النخيل ، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر، ٢٠١٢م.

أحمد توفيق المدنى:-

-كتاب الجزائر، تاريخ الجزائر الى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وسكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ، ١٣٥٠هـ.

إسماعيل العربى:

-الصحراء الكبرى وشواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٢م.

أمين واصف:

الفهرست" معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية " ، مراجعة أحمد زكى ، مؤسسة هنداوى، ١٩١٦م.

طاهر راغب حسين:

– التطور السياسى للمغرب من الفتح الاسلامى الى آخر القرن العاشر الهجرى، الطبعة الثالثة ، دار النصر للتوزيع والنشر ، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤م.

عادل نويهض:

–معجم أعلام الجزائر منذ صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، الطبعة الثانية،مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت . لبنان ، ١٤٠٠هـــ/١٩٨٠م.

عبد الحكيم العفيفى:

–موسوعة ١٠٠ مدينة إسلامية ، مكتبة الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٠م.

عبد الحليم صيد:

– أبحاث فى تاريخ زيبان بسكرة ، مطبعة سوف.

عبد الحميد بورابوين:

–القصص الشعبى فى مدينة بسكرة (دراسة ميدانية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م.

عبد الرحمن بن محمد الجيلالى :

–تاريخ الجزائر العام ، الجزء الثانى، دار مكتبة الحياة ، بيروت، مكتبة الشركة الجزائرية ، الجزائر، الطبعة الثانية ، ١٩٦٥م.

عبد القادر بومعزة:

– بسكرة فى عيون الرحالة الغربيين ، الجزء الثانى ،الطبعة الثانية، مدن الجنوب، دار الحكمة، الجزائر، ٢٠١٢م.

مبارك محمد الميلى :

– تاريخ الجزائر فى القديم والحديث ، الجزء الثانى ، تقديم وتصحيح محمد الميلى ، المؤسسة الوطنية للكتاب .

محمد حسن :

–المدينة والبادية بإفريقية فى العهد الحفصى ، الجزء الثانى، جامعة تونس الاولى، ١٩٠٩م.

محمد العروسى المطوى:

– السلطنة الحفصية تاريخها السياسى ودورها فى المغرب الاسلامى، دار الغرب الاسلامى، بيروت ، لبنان، ١٩٨٦م.

مختار حسانى:

–موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية / الجزء الثانى، مدن الجنوب، دار الحكمة، الجزائر، الطبعة الثانية ،٢٠١٢م.

ناصر الدين سعيدونى:

– من التراث التاريخى والجغرافى للغرب الاسلامى " تراجم مؤرخين ورحالة جغرافين " دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، ١٩٩٨م.

بسكرة أسوار من حضارة : وزارة الثقافة ، الجزائر.

ثالثًا: الدوريات

أشرف سمير توفيق

– بنو مزنى فى بسكرة(٦٧٨–٨٠٤هـ/١٢٧٩–١٤٠٢م) حوليات المؤرخ المصرى ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، فبراير ٢٠١٦م .

فوزى مصمودى:

-بسكرة عروس الزيبان وبوابة الصحراء ، بسكرة، الجزائر، مجلة الفيصل، العدد٣١٥، فبراير، ٢٠٠٢م.

رابعًا:-الرسائل العلمية

نعيمة برعى رمضان:

- مدينة تازا تاريخها السياسى والحضارى،(١٧٢-٨٦٩هـ/ ٧٨٨-١٤٦٥م) ، رسالة ماجستير، "غير منشورة"، جاكمعة المنيا، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، ٢٠١٣م.

خامسًا: المراجع المعربة

جورج مارسيه:

-بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامى فى العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل ، مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد ، منشأة المعارف، الاسكندرية ، ١٩٩١م.

روبار برنشفيك:

- تاريخ إفريقية فى العهد الحفصى من القرن ١٣م إلى نهاية القرن ١٥م، نقله إلى العربية حمادى الساحلى ،الجزء الأول، الطبعة الاولى، دار الغرب الاسلامى ، ١٩٨٨م.

سادساً: المراجع الأجنبية :-

1)Marc cote:

La ville et le desert Le Bas- Sahara Algerien, Paris.